الخطبة السابعة والثلاثون

احرص على التلقي الصحيح

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله:

أولاً - الدين هو ما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به السنة الصحيحة، الدين شرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾، ثلاث مرات الآية نفسها: [التوبة: 9/ 33 - الفتح: 48/ 28 - الصف: 61/ 9]، الدين ما ثبت عن رسول الله ﷺ.

ثانيًا - العادات والتقاليد ليست دينًا، وإنما نقبل منها ما وافق الدين ونرفض منها ما خالفه، والعادات والتقاليد لا يُثاب فاعلها ولا تُدخل فاعلها الجنة، وإنما الدين والالتزام به يُدخل صاحبه الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. صام إيمانًا بفرضيته من الله تعالى، واحتسابًا للأجر من الله تعالى، هذا يغفر له ما تقدم من ذنبه، أما من صام رشاقة وجمالاً وصحة وما إلى ذلك فهذا لا يُغْفَر له ما تقدم من ذنبه.

ثالثًا - نصوص الدين لا يفسرها إلا علماء الدين، نصوص القانون يفسرها القضاة والمحامون، تشخيص الأمراض هي للأطباء وذوي الاختصاص، والدين لا

يُفسر نصوصه ولا يُفتي فيه إلا علماء الدين المختصون، ولو بدا لهم أن النص واضح وصريح، لا بد من أهل الاختصاص.

رابعـاً - والذي ضرّ الإسلام والمسلمين هو تفسير نصوص الدين من قِبَلِ الأجانب والمستشرقين الذين هم جَهَلَة في لغتنا و جَهَلَة في ديننا سواءً أكانوا صادقين مخلصين، - وما أقلهم -، أو كانوا مغرضين يريدون أن يشوهوا ديننا وعقيدتنا وفهمنا لشريعتنا، - وما أكثرهم -، ويريدون أن يدسّوا في هذا الدين ما ليس منه، ويزرعون الشبهات والشكوك فيما يكتبونه، ولا يغرنّك يا أخي الشهادات والأطروحات التي يحملونها لأن السّمّ فيها ومن ورائها، والذي يُؤلم القلب ويحرقه ويدميه هو أن بعضـاً منا ومن جلدتنا ومن أبناء عروبتنا وديننا ومن المحسوبين على أمة لا إله إلا الله يتبنّون ويأخذون ويستشهدون ويعتمدون ويقتبسون من هؤلاء الكفرة الفجرة وكأن ديننا بحاجة إلى هؤلاء! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

خامسـاً- هناك من إخواننا من لا يفهم النصوص كما يجب، ويراها مناقضة لروح العصر وروح التقدم وروح الانفتاح فهو إما يُضعفها أو أنه يُؤولها ويُفسرها تفسيراً فاسداً، ومثال ذلك قوله ﷺ: «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» الترمذي - الحاكم - البزار.

فهذا الحديث ضعفه كثير ممن يَدَّعُوَن العلم، وعلّلوه بأنه مُخِلّ بحق المرأة، وأنه إهانة لها، وأنه وأنه.. لما أورده من تفسيرات وتعليلات، والسؤال الآن: أي سوء أدب هذا أن ترد على رسول الله ﷺ؟ أي دين هذا بأن تُكَذّب ما صح عن رسول الله ﷺ؟ وسؤال آخر: هل فهمت مقصد رسول الله ﷺ قبل أن ترده؟ هل عندك دليل وبرهان كي ترد حديث رسول الله ﷺ؟

إنا لله وإنا إليه راجعون! هل أمر رسول الله ﷺ المرأة بالسجود لزوجها؟! الجواب: كلا، هل يجوز لأي إنسان أن يسجد لأي إنسان؟ الجواب: كلا، وهل فهم

هؤلاء معنى (لو) – وهو أنه حرف امتناع لامتناع –؟ «لو كنت آمراً أحداً لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»، انتفى الأمر فانتفى السجود، إذن ما المراد من هذا الحديث؟ وما المقصود منه؟ المقصود منه ما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: 4/ 34]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞ﴾ [البقرة: 2/ 228]، الحديث فقط لتبيان حق الرجل على المرأة. انتهى. لا إهانة ولا تحقيراً ولا ذلاً ولا أي شيء من هذه التعليلات الفاسدة!

سادسًا – أو أن بعضهم –أي: ممن يَدَّعُون العلم– يفهمون النصوص فهمًا خاطئًا بالكلية، ويخرجونها عن مضمونها –غفر الله لنا ولهم– لا أقول عن سوء نية حاشا لله وكلا، ولكن لعدم فهم الأصول الشرعية، وهذا كثير في الخطب والمقالات، والأمثلة كثيرة جداً، لكن ما يهمني الآن هو موضوع المرأة، ومثاله قوله كما جاء به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمرّ على النساء فقال: «يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن؟ قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها» متفق عليه.

ألم يقل الله تعالى في شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل وسببها: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ [البقرة: 2/ 282]، ألم ينهَ رسول الله ﷺ عن اللعن وعن كفران العشير؟ الجواب: نعم، فمن أتى بما نهى رسول الله ﷺ عنه ألا يكون ناقص عقل لأنه فعل ما يوجب العقوبة ونقصان دين؟ –لانعدام التقوى– وهل هذا للنساء فقط؟ الجواب: لا، ولكن علم رسول الله ﷺ من ربه أن النساء في فِعْلِ هذا أكثر من الرجال، وهل نقصان دينها –بأنها لا تصلي إذا حاضت ولا تصوم– هل هذا رحمة من الله تعالى عليها وفضل؟ أم أنه مذلة وإهانة؟ إنها رحمة من الله ومكرمة منه،

وشهادتها نصف شهادة الرجل لأن عالمها هو بيتها، اختصاصها أولادها وزوجها، عطفها، حنانها، شغفها يطغى على عقلها فَتُحَكِّم قلبها وعاطفتها وحبها وحنانها وشفقتها قبل عقلها. وحقوق العباد تقوم على الحق وليس على العاطفة، حقوق العباد مُحترمة مُصانة، ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ أن تنسى، أن تغلب عليها عاطفتها وحنانها، فتذكرها أختها -والله أعلم- هذا الحديث إكرام للمرأة ورحمة بها وتنبيه لها، وتذكير لها وللرجال بأن لا نلعن ولا نشتم ولا ننكر المعروف ولا نجحده، فأين المهانة والذل؟ لا توجد وحاشا لله وكلا، ورسول الله ﷺ ألم يقل قبل وفاته بيوم أو يومين، في آخر خطبة له عليه الصلاة والسلام أما أوصى بالمرأة وقال ﷺ: «استوصوا بالنساء خيراً»؟، وكان هذا بعد وصيته بالصلاة؟ نعم، من وصّى بالنساء في آخر كلامه؟ ومن وصّى بالأم وأعطاها حقًا فوق الأب؟ في الحديث الصحيح: «من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله ؟ قال: أمك، قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أمك، قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أمك، قال: ثم من يا رسول الله؟ قال: أبوك» رواه البخاري عن أبي هريرة.

وفي البنات قوله ﷺ: «من كان له ابنتان فأحسن إليهما كن له ستراً من النار» صحيح - ابن أبي شيبة، وقال شيخنا ابن باز رحمه الله وهذا الحديث يفيد: لو أن للمرء أختان أو عمتان أو خالتان أو نحوهن فأحسن إليهن فإنا نرجو له بذلك الجنة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا أخذت صفيه من أهل الدنيا فاحتسب إلا الجنة» البخاري، وقد قال ابن باز رحمه الله تعالى في هذا الحديث: (ليس للمؤمن جزاء إذا أخذ محبوبه من أهل الدنيا فصبر واحتسب إلا الجنة)، والمحبوب هذا في الحديث قد يكون: الأب، والأم، والأولاد، والزوجة، وسائر الأقرباء والأصحاب، فلله الحمد والمنة.

فهل بعد هذا الإكرام من الله تعالى ورسوله ﷺ يأتي أحد فيقول: إنّ في حديث رسول الله ﷺ إهانة ومذلة للمرأة؟! أعوذ بالله من هذا الكلام! وبعضهم -غفر الله لنا

ولهم- يفسرون الحديث ويؤولونه بقولهم: إن رسول الله ﷺ كان يمزح مع النساء ويداعبهن، ولم يكن عليه الصلاة والسلام جدّيًا معهن.

أولاً – أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثانيًا- اللهم اغفر لنا خطأنا وزللنا يا رب العالمين، ثالثًا – إن من أكبر الذنب أن يقول الإنسان على الله وعلى رسوله ما لا يعلم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: 6/ 144]، طبعًا الجواب المحذوف هو: أنه لا يوجد أظلم من هذا. وقد وردت (11) آية في القرآن الكريم في هذا المعنى، رابعًا – سياق الحديث لا يدل على هذا أبداً وحاشى لرسول الله ﷺ أن يخبر عن الله سبحانه وتعالى لعبًا ومداعبة فعندما قال ﷺ «فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فهذا من الغيب الذي أطلعه الله عليه، على كل لا داعي للإطالة في نقد هذا التفسير الفاسد -وهو أنه كان يمزح مع الناس-، فالتأويل فاسد باطل، غفر الله لنا ولقائله، آمين.

خامسًا – ثم قوله عليه الصلاة والسلام: «أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» أليس في هذا القول شهادة كبرى بذكاء المرأة لأنها تستطيع أن تذهب وتأخذ عقل وقلب الرجل الحازم ليس أي رجل! وإنما الرجل الحازم، من يستطيع هذا إلا من أوتيَ ذكاء وفطنة وحنكة؟! أليس هذا شهادة للمرأة ومدحًا لها؟ سادسًا- وكيف هذا وقوله: «ناقصات عقل ودين»؟ إذن تبين الأمر كما شرحت آنفًا بقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: 2/ 282].

سابعًا – أخلُصُ من هذا إلى القول: بأنه يجب علينا أن نرجع إلى علمائنا الموثوقين فنأخذ عنهم أحكام ديننا، وتفسير نصوصنا، ولا نتبع كل من سولت له نفسه بارتقاء المنابر أو تأليف كتاب وما إلى ذلك، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 16/ 43 – الأنبياء: 21/ 7].

ثامنًا – لا بد لمن يريد أن يتصدر للفتوى أو شرح الأحاديث أن يكون عنده علم بمقاصد الشريعة أو هو نفسه يرجع إلى أهل العلم في هذا، وكثير ممن يخطبون ويأتون

بأحاديث رسول الله ﷺ يفسرونها حسب فهمهم هم للغة ولمنطوق الحديث، وبعدم علم لمقاصد الشريعة، فيأتي تفسيرهم خاطئًا مشوهـًا وإليك المثال: عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لأعلمن أقوامـًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بياضـًا فيجعلها الله عز وجل هباءً منثوراً»! قال ثوبان رضي الله عنه: يا رسول الله صفهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم! قال: «أما إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» ابن ماجه (4245).

وذهب الخطيب إلى أنه: من يرتكب المعاصي ويكون وحيداً في سره ويشرب الخمر وينظر إلى المواقع الإباحية، أو إلى الأفلام الماجنة، أو أنه، أو أنه، وما إلى ذلك فهذا الذي ينطبق عليه الحديث، وأقول: بأن هذا الكلام بهذا الشكل يخلق أسئلة كثيرة منها: أين التوبة والاستغفار، والصلاة والأذكار، والأعمال الصالحة، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: 11/ 114].

ألم يقل عليه الصلاة والسلام: «من قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة في يومه؛ حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ألم يقل عليه الصلاة والسلام: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له: 1 - عدل عشر رقاب، 2- وكتبت له مئة حسنة، 3 - ومحيت عنه مئة خطيئة (سيئة)، 4 - وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، 5 - ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه» متفق عليه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما الحسنات فلا تُذهِبْ ثوابها السيئات مطلقـًا، فإن حسنة الإيمان لا تذهب إلا بنقيضها وهو الكفر) وقال ﷺ: «اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» صحيح الترمذي.

إذا كانت كل هذه النصوص تقول بغفران الذنب، فكيف نفسر حديث ثوبان؟ لا شك بأن تفسير الخطيب تفسير خاطئ لأنه سبحانه قال: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: 39/ 53]، نعم إن الله يغفر الذنوب جميعًا، وهذا لا يعني وليس مبرراً بأن ترتكب المعاصي والمنكرات أبداً، وليس دعوة إلى فعل الفاحشة والعياذ بالله، ولكن حديث ثوبان في المنافقين، والذين يفعلون الحرام مستحلين له، ومستهزئين بأحكام الله سبحانه وتعالى ومستخفين بعقوبة الله تعالى وقوله (انتهكوها) أي: جريئًا بها محبًا لها لا يرى فيها بأسًا ولا عقوبة، لا بد من تعلم مقاصد الشريعة حتى يستقيم الفهم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»، كلنا نرتكب أخطاء وذنوب وفواحش، وكلنا إذا فعلنا فاحشة نختبئ، ولا نفعلها علنًا، إذا كان هذا هو السبب في جعل أعمالنا الصالحة هباءً منثوراً، فمعناها أننا كلنا هكذا، مفلسين من الأعمال الصالحة، لأننا كلنا نرتكب أخطاءً وفواحش وإذا فعلناها فإننا نعملها خفية عن أعين الناس، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في صحيح الترمذي- حم- جه، فكلنا ذوو خطأ -اللهم اغفر لنا- وكلنا نفعل أخطاء خفية؛ لما ورد عن سالم بن عبد الله رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافىً إلا المجاهرون، وإن المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه» البخاري (6069) - مسلم (2990)، قوله عليه الصلاة والسلام «كذا وكذا»: أليس هذا هوالحرام الذي نهى الله عنه؟ الجواب: نعم.

إذاً تفسير الخطباء والمشايخ لهذا الحديث بالشكل الذي أوردوه خطأ، وليس هو مقصود النبي عليه الصلاة والسلام، وإنما المقصود استحلال فعل الفاحشة ونكران أنها حرام، وهذا من القواعد والتي تقول: من حرّم حلالاً معلومًا من الشريعة ثابتًا

فقد كفر، ومن حلّل حراماً معلوماً من الشريعة ثابتاً فقد كفر، كفر لأنه ردّ شرع الله تعالى ولم يقبله،" لأنه جعل من نفسه نداً لله سبحانه ومشرعاً، لذلك أرجع إلى قول ابن تيمية رحمه الله تعالى حسنة الإيمان لا تذهب إلا بالكفر، أما المسلم العاصي، فصلاته وصيامه وذكره وأعماله الخيرية، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وتوبته واستغفاره، وقراءته للقرآن، وفعله للخير، كل ذلك مكفرات لذنوبه قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: 16/ 116]،أي: لا تحرّموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم كذباً وافتراءً على الله تعالى وعلى رسوله عليه الصلاة والسلام، وتَقَولاً عليه قال عليه الصلاة والسلام: «ليكونن من أمتي أقوام يَستَحِلون الحر (أي: الزنا)، والحرير ، والخمر، والمعازف» البخاري، يستحلون كما قال ابن حجر العسقلاني: أي: يعتقدون أن ذلك حلالاً فإذا اعتقدوا أن ما حرم الله ليس بحرام فقد كفروا، وقد أجمع العلماء على أن: استحلال المحرمات المجمع على حرمتها: هو كفر اعتقادي.

اللهم اغفر لنا وارحمنا وتقبل منا وتب علينا، وأعوذ بالله أن أقول في دين الله ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى، وما لا يرضي رسوله عليه الصلاة والسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيد المرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين